تجلِّيَّات الدين في رواية "عزازيل"(*)

تحت إشراف

أحمد شمس الدين الحجاجي

دعاء صابر عبدالمحسن

كلية الآداب جامعة القاهرة

الملخص

إنَّ موضوع الدين وتجليَّاته، رغم ما له من أبعاد شائكة، لكنه يصبح من الواجب عدم تجاهله، فالدين يمثِّل جزءًا كبيرًا في تكوين الشخصيَّة العربيَّة لا يمكن الاستهانة به على الإطلاق؛ لذا فإنّ الاقتراب من قضاياه لا بد منه؛ لفهم ذواتنا، ونقدها، ومواجهتها مواجهة صريحة بلا تردُّد أو خوف.

فقد اتَّجه الروائيون العرب إلى الرواية بوصفها شكلًا أدبيًّا مناسِبًا، مرِنًا، بإمكانه التعبير عن مكنون الثقافة العربية، ومتابعة التطورات التي لحقت بها؛ والكشف عن أنماط شتَّى من العادات والسلوك والمسكوت عنه في الثقافة الإنسانية، والبحث عن سؤال الهوية في سياقات تعتمد الصراع، ومحاولات هيمنة كل طرف على الآخر، أو نفيه أيضًا، وإبراز منظور الدين في ثقافتنا، وممارستنا له، وعلاقتنا بالآخر المختلف، وكذلك تعْرية المسكوت عنه، ومواجهة الذات.

فسوف يتناول – هذا المبحث – دراسة تجلِّيَّات الدين، ومناقشة القضايا الخاصَّة به، وتوظيفه داخل رواية *"عزازيل" ليوسف زيدان*، التي توقَّفت أمام فترة تاريخيَّة – محدَّدة – القرن الخامس الهجري، وقامت بنقد التراث الدينيّ المسيحي في علاقته بالديانات السابقة عليه: اليهوديَّة والوثنية.

الكلمات المفتاحيَّة

(الرواية، الدين، توظيف التاريخ، تزييف الوعي، لغة الخطاب الدينيّ)

(*)تجلِّيَّات الدين في رواية "عزازيل"، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، أبريل ٢٠٢٢، ص ص٣٥-٦٦.

Abstract

The issue of religion and its manifestations, despite its thorny dimensions, should not be ignored. Religion represents a large part in the formation of the Arab personality that cannot be underestimated at all. Therefore, it is necessary to approach his issues. To understand, criticize, and confront ourselves frankly without hesitation or fear.

Arab novelists have turned to the novel as an appropriate and flexible literary form that can express the potential of Arab culture and follow the developments that have taken place in it. And revealing various patterns of customs and behavior that are silent in human culture, searching for the question of identity in contexts that depend on conflict, and attempts to dominate each other over the other, or negating it as well, and highlighting the perspective of religion in our culture, our practice of it, and our relationship with the different other, as well as exposing the silent about it. and self-confrontation.

This topic will deal with the study of the manifestations of religion, the discussion of issues related to it, and its use within the novel "Azazel" by Youssef Zidan, which stopped before a specific historical period of the fifth century AH, and criticized the Christian religious heritage in its relationship with the previous religions: Judaism and paganism.

key words

(The novel, religion, the use of history, the falsification of consciousness, the language of religious discourse)

تمهيد

الخطاب الروائي لا يمثِّل نوعًا أدبيًّا خالصًا، بل هو خطاب هجين يجمع في داخله كل الخطابات الأدبيَّة وغير الأدبيَّة، "يرجع ذلك إلى نوع المادَّة المُستخدمة فيه؛ فمادَّة الرواية ليست بدائيَّة أوليَّة بل هي مادَّة مُصنَّعَة وسبق لها أن استُخْدِمَت في خطابات تعبيريَّة أخرى"(١)، فيعتمد السرد في رواية "عزازيل" على المصادر الدينية المسيحيّة والتاريخيَّة، وهذا ما نجده – بدايةً – في عنوان الرواية، الذي يستقيه من مصادر دينية. تبدأ الرواية بإيحاءات ودلالات تُوهِمُ تاريخِيَّتها؛ فيشير الكاتب إلى عثوره على مخطوطات أثريَّة في جهة الشمال الغربي من مدينة حلب السوريَّة، ومع الإيغال في وصف موقع الاكتشاف؛ وخداع القارئ بأنَّ الكاتب/ المُترجم قد وجد هذه المخطوطات مكتوبة، لإيهامه بهذه التاريخيَّة،

"في ذلك الصندوق الخشبيّ، محكم الإغلاق، الذي أودع فيه الراهب المصري الأصل، ما دوَّنه من سيرة عجيبة، وتأريخ غير مقصود لوقائع حياته القلقة، وتقلُّبات زمانه المضطرب"[٢]، وتأتي عناوين الفصول لتمارس دورها في هذا الإيهام تاريخيَّة بحملها اسم "رقوق" التي تُستخدَمُ لوصف المخطوطات الأثريَّة، التي ترجع إلى زمنٍ بعيدٍ غير متَّصل بزمن المترجم؛ فيقول:

"يضم هذا الكتاب الذي أوصيتُ أن يُنشَر بعد وفاتي، ترجمةً أمينة قدر المستطاع لمجموعة اللفائف (الرقوق)، التي اكتُشِفت قبل عشر سنوات بالخرائب الأثريّة الحافلة، الواقعة إلى جهة الشمال الغربي من مدينة حلب السورية، وهي الخرائب الممتدة لثلاثة كيلومترات، على مقربة من حواف الطريق القديم الواصل بين مدينتي حلب وأنطاكية العتيقتين". (ص ٩)

وفي محاولةٍ للإيهام بتاريخيَّة الرواية، يكشف المُؤلِّف عن عثوره على رقوق مكتوبة باللغة السريانية؛ "فالتاريخ مجبر على أن يُؤَسَّس على مرجع (وثائق، معطيات)، في حين أن التخييل غير مطالب بذلك"[٣]، فيشير الراوي إلى الزمن – تحديدًا – الذي كُتِبت فيه:

"قد وصلتنا الرقوق بما عليها من كتابات سريانية قديمة (آرامية) في حالة جيدة، نادرًا ما نجد مثيلا لها، مع أنها كُتِبَت في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي، وتحديدًا: قبل خمس وخمسين وخمسمائة وألف، من سنين هذا الزمان". (عزازيل ص٩)

وقد استطاع المؤلِّف توظيف خبرته في العمل بمجال المخطوطات، وإيهام القارئ بهذه الخدعة، فاستخدم الحواشي والتعليقات المكتوبة باللغة العربية، وأفرد مساحةً في نهاية الرواية لبعض الصور المرتبطة بأحداث الرواية وشخصياتها، في ملحق خاصّ بالصور، فأتى بصور لبقايا منزل هيبا في بلاده الأولى، ولعالمة الإسكندريَّة "هيباتيا" كما تخيَّلها الرسامون، وصورة للتاجر الصقلِّيّ، وما بقي من منزله، والخرائب الأثريَّة الواقعة شمال غرب حلب، والمطلّ الغربيّ للدير (السماوي)، وأخيرًا أطلال الدير كما تبدو اليوم.

يبدو – هذا – حيلة من المؤلف، ليكشف عن المسكوت عنه في هذه المرحلة التاريخيَّة المُتأزّمة، ويُركِّز على الوجه المخفي للتاريخ، ويُعيدُ بناءَه من خلال المُتخيَّل؛ فإسقاط حادثة

تاريخية على الحاضر، هو محاولة للربط بينهما، من خلال البحث عن تكراريَّة الحدث، أو ربمَّا محاولة لنقد الذات؛ أيِ التراث، فاستعادة أحداث تاريخية هو في الحقيقة تأويل للتاريخ بحسب السياق المُستدْعَى فيه الحدث. ويتميز هذا السرد بكونه انتقائيًّا للأزمنة والأمكنة والتواريخ والأحداث، "فالتناص الذي تتميز به ما بعد الحداثة مظهر شكلي للرغبة في سد الفجوة بين ماضي القارئ وحاضره، والرغبة في إعادة كتابة التاريخ في سياق جديد"[٤]، فيعتمد أسلوب رواية "عزازيل" على السرد من خلال مونولوج داخلي يستعيد ذكريات بحوادث معينة ذات صلة بزمان ومكان تاريخيين، فدائمًا ما يخاطب هيبا المتحدث إليه بكلمات كما: "ما علينا منه الآن، أكمل له"، وتتصارع أساليب السرد في رواية "عزازيل" بين: البوح – الكتمان، والكتابة – الحذف، والإثبات – النفي.

تمزج رواية عزازيل بين الخاص والعام؛ إذ تحكي تاريخًا من خلال "هيبا"، الشخصية المحورية في الرواية، الذي عاش تلك المرحلة التاريخية، فآثر أن يبوح بكل أسرارها من خلال ممارسة فِعْل الكتابة، فحين يفكر هيبا في الموت، يسمع صوت عزازيل القادم من أعماق نفسه، يقول له:

"تحيا يا هيبا لتكتب؛ فتظل حيًّا حتى تموت في الموعد، وأظل حيًّا في كتاباتك، اكتب يا هيبا، فمن يكتب لن يموت أبدًا". (عزازيل٤٥٦)

وتدور أحداث هذه الرواية – كما أشار المؤلف – في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي، وقد أفرد "السارد/ البطل" في رواية "عزازيل" مساحة كبيرة للحديث عن قضايا متصلة بالصراعات التاريخيَّة بين المسيحية والوثنية، وبين المسيحيَّة والمسيحية، وبين المسيحيَّة واليهوديَّة، جامعًا بين السرد التاريخي والتخييلي؛ فيصرح المؤلف بترجمته لرواية "عزازيل" من اللغة السريانية إلى اللغة العربية، وأنها مقسمة إلى ثلاثين رِقًّا مكتوبة على الوجهين بقلم سُريانِي سميك حسب التقليد القديم للكتابة السريانية.

لكنّه ينفي أن تكون لـ "هيبا" هذا أيّ ذكر أو خبر في المصادر التاريخية القديمة؛ فيقول:

"فلم أجد له أي خبر في المصادر التاريخية القديمة ... فكأنَّه لم يوجد أصلًا، أو هو موجود فقط في هذه (السيرة) التي بين أيدينا" (ص١٢)

ثم يعود فيؤكد للقارئ مرَّة أخرى تاريخية الأشخاص المعاصرين لهذه الرواية؛ "مع

أنني تأكدت بعد بحوث مطوَّلة من صحة كل الشخصيَّات الكنسيَّة، ودقَّة كل الوقائع التاريخيَّة، التي أوردها في مخطوطته" (ص١٢)، فيمكن القول إن رواية عزازيل تعتمد أسلوب "التحفيز الواقعي"؛ "الذي يأتي للإيهام بالصدق والواقعيَّة، ويكون ذلك عن طريق إدراج مواد غير أدبيَّة في نسيج العمل الأدبي"[٥]، إذ تمتلئ الرواية بأسماء لشخصيَّات تاريخيَّة، ومدن وأماكن حقيقية، وأحداث قد وقعت بالفعل، من هنا؛ تُروى الأحداث من خلال شخصيَّة الراهب هيبا، الذي هو البطل – في الوقت ذاته – ويتحوَّل الكاتب الحقيقيّ مجرَّد مترجم للنص المعثور عليه؛ فربما اعتمد هذه الطريقة نظرًا لحساسيَّة موضوع الرواية، الدين، أو لأنه يريد نقد الموروث الديني من خلال التخفِّي وراء هذه الشخصية المتخيلة؛ "فهذه الشخصيَّات ببعديها المرجعي أو غير المرجعي، تضعنا بشكلٍ مباشر أمام عوالم تاريخيَّة محددة الملامح، سواء تم تجسيد تلك الملامح مع الحفاظ على روح المواد التاريخيَّة، أو من خلال تطعيمها بعناصر خارجيَّة لا صلةَ بالتاريخ المدوَّن أو المتعارف عليه"[٦].

فيروي هيبا أسرارًا وأخبارًا منسيَّةً، لم يجرؤ أحد على حكيها، أبرزها الصراع حول الأقنوم، الذي هو نفسه صراع بين السلطة، وأحيانًا يرفض البوح بالمزيد، الذي هو – في حد ذاته – نوع من الكشف عن المخبوء؛ فدعوة عزازيل للكتابة إنما هي دعوة للبوح وفضح كل مستور، دعوة للتمرُّد والثورة والرفض، رفض كل ما هو مسكوت عنه، غير معلن؛ "فالتاريخ نفسه مستثمر مثل الرواية من خلال ترابط الحبكات التي تبدو أنها تتفاعل معًا بشكل مستقِل عن الفِعل البشري؛ فاستلاب قوى الفِعْل، والخضوع لتكرار التاريخ، دالٌّ على جبرية الوقائع، وسلبية الإرادة الإنسانية، وكأن الحكاية تحدث من تِلقاء نفسها"[٧]؛ فيتوقف السارد أمام شخصيات مرجعية دارت حولها أقاويل عديدة، وكانت سببًا رئيسيًّا للصراع الدينيّ – السياسيّ، كصراع "كيرلس" و"نسطور" حول طبيعة المسيح، والتأثر بأفكار "آريوس"، وكذا نشأة الرهبنة المسيحية، وعقد المجمع المسكوني، والإقرار بقوانينه الجديدة، كما تطرَّقت الرواية – تاريخيًّا – إلى وجود أناجيل سريَّة ممنوعة، لا يمكن لأحد الاطلاع عليها علنًا، وتوقَّفت مطولا أمام الصراع الدامي بين الوثنية والمسيحيَّة، وهو ما سيتناوله هذا البحث بشكل مفصل.

أ – الثالوث المسيحي والثالوث الوثني – امتداد أم تضاد

كان لنشأة المسيحية في أجواء الحقبة الهلنستية، التي سادت فيها الثقافة الإغريقيَّة بلاد المشرق العربي ومنها مصر، متفاعلة مع ما استقر فيها من ثقافات موروثة، أثرٌ كبيرٌ في التفاعل بين الإيمان والفلسفة الذي طبع الديانة المسيحية بطابعه، فأخرجها من الإيمان البسيط إلى اللاهوت المعقد، وبدأت المذاهب تتشعَّب، والرؤى تتعدَّد حول طبيعة العلاقة بين الله والمسيح، أو بين الآب والابن، وفي مرحلة تالية طُرِحَت قضية أخرى وهي طبيعة العلاقة بين الآب والابن والروح القدس، "فذهب أسقف بصري إلى أن المسيح لم يكن له لاهوت متميِّز قبل ولادته من مريم العذراء، بل كان له لاهوت الآب، أي ليس بإله، بل إنسان فانٍ، وذهب نوئيتس، أسقف إزمير، إلى أن الآب هو الله نفسه، وهو واحد لا ينقسم"[٨]، وهناك الغنوصيون الذين يتفق معظمهم على أن يسوع إنسان فانٍ يوحى إليه، ولكنه ليس بإله، بعضهم يقول: لم يُصلب[٩].

"إن مقدَّس الديانة المهدمة يمكنه حسب الحالات إمَّا أن يأخذ مرة ثانية من طرف الديانة الجديدة، ومن ثم يحول إلى دنيوي حلال وطاهر، أو دنيوي حرام ودنس"،[١٠] على هذا النحو؛ يعتقد الأسقف نسطور أنَّ الديانة المسيحية غير منقطعة الصلة بالديانة المصرية القديمة، فيبوح لهيبا بهذه الأفكار؛ قائلًا:

> "إنني أفكر كثيرا في أفلوطين، وفي مصر؛ فأرى أن كثيرًا من أصول الديانة أتت من هناك، لا من هنا! الرهبنة، حب الاستشهاد، علامة الصليب، كلمة الإنجيل، حتى الثالوث المقدس، هو فكرة ظهرت أولًا بنصوع عند أفلوطين" (ص٤٢)

فيعلق هيبا قائلا إنَّ ثالوث أفلوطين فلسفيّ، أمَّا ثالوث الديانة المسيحيَّة فسماوِي مقدَّس؛ فعقيدة التثليث قديمة قدم التاريخ البشري، فكان السومريون يعبدون ثلاثة آلهة ذكور (آن إله السماء)، و(أنليل إله الهواء) و(أنكي إله الماء)، وكان (آن الحاكم الأعلى في مجموعة الآلهة)، وتعبَّد البابليون لثلاثي كوكبي وبشري في نفس الوقت مؤلَّف من (الزهرة والشمس والقمر)، ويقابله (عشتار إله الحب والخصب)، و(شمس إله المعرفة والعدل)، و(يعفسن وهو القمر) إله القدرة والانبعاث الأبدي في جريانه المنظم للزمان[١١]، وكان المصريون يجمعون في ديانتهم الزوجين أوزوريس وإيزيس وابنهما حورس، والهندوس تعبدوا أيضًا ثلاثي مؤلَّف من (براها الإله المنتج أو الخالق)، و(فشنو

الإله الحافظ)، و(سيفا إله التدبر والتغيير)، أي الأوجه أو المظاهر الثلاثة لتجلِّي الوجود: المبدأ والمكان والزمان[١٢].

أمَّا الثالوث المسيحي فيميِّز بين ثلاثة أشخاص أو أقانيم: الآب والابن والروح القدس، الثاني ينبثق من الأول، والثالث من الاثنين الأولين، والثلاثة متساوون، وغير منقسمين في طبيعتهم الواحدة، رغم أنهم في أعمالهم وفي الارتفاع إلى الصعيد فوق الطبيعي لا يعملون إلا في وحدة، إلا أن أعمال القدرة فتُنسَب إلى الآب على وجه الخصوص، وأعمال المعرفة إلى الابن أو الكلمة، وأعمال الحب إلى الروح القدس[١٣]؛ فعقيدة التثليث – على هذا النحو – تُعدّ امتدادًا لأفكار وثنيّة سابقة على المسيحيَّة، كما أبرزتها رواية عزازيل، وهذا ما ولَّد جدلًا مذهبيًّا بين المسيحية والوثنية أو بين المسيحيَّة والمسيحية في محاولات للتوفيق بين هذه الأفكار المتصارعة.

ب-تاريخ الصراع السياسي – الديني

تعرَّضت رواية "عزازيل" تاريخيًّا لظاهرة تسييس الدين، واستغلاله لصالح أهداف سياسيَّة محضة، وقمع كل ما لا يخدم مصالحها بالعزل أو النفي أو القتل أو حرق الكتب، وكلها تيمات تاريخيّة لا تزال قائمة في واقعنا الحالي.

وقد أفرد السارد/ البطل في رواية "عزازيل" مساحة كبيرة للحديث عن قضايا متصلة بالصراعات التاريخيَّة بين المسيحية والوثنية من جهةٍ، وبين المسيحيَّة والوثنية من جهةٍ أخرى، جامعًا بين السرد التاريخِي والتخييلي؛ فالرواية تُعدُّ من أكثر الأجناس الأدبيَّة القادرة على التفاعُل مع النصوص السابقة – لا سيَّما – الدينيَّة والتاريخِيَّة؛ نتيجة طبيعتها السرديَّة المليئَة بالأحداث التي تتصل بالواقع، وتعبِّرُ عنه؛ فيصرح المؤلف بترجمته لرواية "عزازيل" من اللغة السريانية إلى اللغة العربية، وأنها مقسمة إلى ثلاثين رِقًّا مكتوبة على الوجهين بقلم سُريانِي سميك حسب التقليد القديم للكتابة السريانية.

من مظاهر هذا التسييس حرمان "آريوس" في مجمع نيقية لمخالفته للسلطة الزمانية، معترفًا بسرّ الظهور الإلهي في المسيح، وغير معترف بألوهيَّة يسوع، معترفًا بأن يسوع بن مريم الموهوب للإنسان، وغير معترف بشريك لله الواحد؛ وقد أراد من هذا تخليص الديانة المسيحية من اعتقادات المصريين القدماء في آلهتهم، المُتمثِّل في ثالوث إلهي،

زواياه إيزيس، وابنها حورس، وزوجها أوزير، الذي أنجبت منه دون مضاجعة، وينتهي الحال بآريوس إلى اغتيالُه بالسم، ووسمه بالملعون، ومنع تداول أي من أفكاره، فرغم رفض المسيحية للوثنية إلا أنَّه هناك صلات تاريخيَّة بينهما؛ لعلَّ أبرزها فكرة " الثالوث"، الذي يمثل روح الديانتين.

إنَ تسييس الدين قد ولَّد صراعات طائفيَّة ومذهبية على مدار التاريخ؛ بعد أن فُرِّغَ الدين من محتواه الحقيقي لصالح طبقات سياسيَّة بعينها، وكانت وسيلتهم في ذلك هي استخدام النصوص الدينيَّة مع إعادة تأويليها أو تحريفها أو حتى ابتداع نصوص موازية لها؛ ويَتَّضح هذا بقوة في الديانات الكتابيَّة، فاعتمد السرد الروائي في رواية "عزازيل" فترة الصراع بين المذاهب المسيحية في عصر الإمبراطور الروماني (قسطنطين) (٢٧٢- ٣٣٧) مرجعًا تاريخيًّا تدور فيه أحداث روايته، وقسطنطين الأعظم Augustus، هو أول من بثّ دين المسيحيَّة، وأمر بقطع الأوثان، وهدم هياكلها، وبنيان البيع، وتقوية الإيمان"[١٤]، ومع ذلك عاش معظم حياته في الوثنيَّة، ولم يدخل المسيحيَّة إلا على سرير الموت، عُمِّد من قبل "يوسابيوس النيقوميدي"، وساهم بشكل كبير في مرسوم ميلانو في ٣١٣ م، الذي أعلن التسامح الديني مع المسيحيَّة في الإمبراطوريَّة الرومانيَّة، ودعا إلى المجمع المسكوني الأول في نيقيَّة عام ٣٢٥ م، الذي أثمر عن القانون المعروف بالعقيدة الدينيَّة، وبُنيَت كنيسة القيامة على قبر المسيح بأمر منه، وأصبحت أقدس مكان في العالم المسيحي، "كان الادِّعاء البابوي بالسلطة الزمنيَّة في منتصف العصور الوسطى معتمدًا على التبرُّع المفترض من قسطنطين، ثم تبجيله كقديس في الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية والكاثوليكيّة"[١٥]؛ فيقوم السرد بدوره بفضح التاريخ المسكوت عنه، ويؤرِّخ لهذا الصراع الديني القائم على أغراض سياسية واضحة، سَيِّست الدين، واستغلته لصالح أهداف سلطويَّة؛ فيحكي هيبا على لسان نسطور:

> "الحقيقة يا هيبا، أن الأمر كله تلبيس. فإبليس هو المحرِّك الرئيس لكل ما جرى قبل مائة عام في مجمع نيقية، أعني بإبليس، شيطان السلطة الزمانيَّة التي تغلب سكرتها الناس، فينازعون الرب في سلطانه، ويتمزَّعون فيما بينهم، فيفشلون وتذهب ريحهم بددا، تغلبهم أهواؤهم، فيتحامقون ويخالفون روح الديانة، سعيًا لامتلاك حطام الدنيا الفانية، ما جرى يا هيبا في نيقية باطل من

تحته باطل، ومن فوقه باطل، فالإمبراطور قسطنطين كان متعجلا لإعلان ولايته على أهل الصليب، حتى إنه لم يصبر على دعوته المسكونيَّة للمجمع، إلى حين اكتمال مدينته الجديدة القسطنطينيَّة". (ص٦٥)

"فقد خرج قسطنطين إلى محاربة الفرس فقهرهم وأذلّهم، ودانت له أكثر الدنيا أكثر مما دانت للقياصرة قبله"[١٦]، ولمَّا ثبَّت سلطانه عسكريًّا، حاول تثبيته بالولاية الدينيَّة على رعاياه، ذلك من خلال دعوته لهذا المجمع، وإملائه القرارات على الحاضرين من الأساقفة والقسوس، ويشكك الراوي / هيبا في إيمان قسطنطين، حتى حد الإنكار، راجعًا إياه لسببين؛ أولهما: أن قسطنطين لم يقرأ كتابًا واحدًا في اللاهوت المسيحي، ولم يكن يعرف اللغة اليونانية التي دار الحوار اللاهوتي بها، والآخر: أنه كان يعتبر الخلاف اللاهوتي بين آريوس وأسقف الإسكندريَّة إسكندر خلافًا تافهًا وسوقيًّا ووضيعًا.

فانعقد المجمع المسكوني الأول (٣٢٥)، جرَّاء فشل محاولات التوفيق بين آريوس والأسقف إسكندر، وكان أوسيوس هو ممثل الإمبراطور في المجمع يدير المناقشات لكي تنتهي إلى القول بأن "المسيح إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، من نفس جوهر الآب"[١٧]، وبعدها تم إقصاء آريوس من الكنيسة، وأُحْرِقَت الأناجيل غير المقبولة، وأُقِرَّت أناجيل بعينها.

ج-صراع المذاهب الدينيَّة

الصراع اللاهوتي بين آريوس وإسكندر – (توفيق أم تلفيق)

يعد آريوس[١٨] من وجهة نظر المسيحيَّة الأرثوذكسية هرطقيًّا أو زنديقًا، شكَّل خطرًا على العقيدة المسيحيَّة طوال العشرة قرون الأولى من تاريخ المسيحيَّة، ويقوم خلاف آريوس مع الكنيسة على أطروحة واحدة هي أن المسيح كائن فانٍ ليس إلهيًّا بأي معنى، وليس بأي معنى شيئًا آخر سوى معلم يُوحى إليه[١٩]، فالله بالنسبة لمذهبه واحد فرد، غير مولود، لا يشاركه شيء في ذاته تعالى، فكل ما كان خارجًا عن الله الأحد، إنما هو مخلوق من لا شيء، وبإرادة الله ومشيئته، أمَّا الكلمة (المسيح) فهو وسط بين الله والعالم، كان ولم يكن زمان، لكنه غير أزلي ولا قديم، بل كانت مدة لم يكن فيها الكلمة موجودًا، فالكلمة مخلوق بل مصنوع، ليس في المسيح لاهوت، بل هو إنسان محض مهما كان عظيما[٢٠]،

وآريوس يتبع في مذهبه هذا ما قاله بطريرك أنطاكية بولس السيمصاتي، وقد عُرِفَت مدرسة أنطاكية التي أسسها لوقيانوس الأنطاكي بميولها النقدية التي كانت تنظر إلى المسيح لا باعتباره إلهًا، بل باعتباره مخلوقًا أنعم عليه بقوى إلهيَّة، وكانت هذه المدرسة هي الأساس الفكري والعقائدي الذي استمد منها آريوس أطروحته[٢١].

من ناحية أخرى كان إسكندر[٢٢] أسقف الإسكندرية آنذاك يتَّهِم آريوس بالهرطقة، لعدم اعترافه بألوهية المسيح، وكان من جرَّاء هذا أن انتصر الإمبراطور قسطنطين لأسقف الإسكندريَّة، لضمان قمح مصر ومحصول العنب السنوي، وحرَم الراهب آريوس، وحرَّم تعاليمه، وحكم بهرطقته، ثم قام باغتياله في وضح النهار، بعد أن دعاه من منفاه الطويل بأرض القوط، للتوفيق بينه وبين أسقف الإسكندرية:

"كان آريوس يسير ساعة الظهر مع جماعة، فدهمه مغص مفاجئ لا مقدمات له، وانتحى عن الطريق، ليلبي نداء الطبيعة، فنزل منه دم كثير، وقطع من لحم البطن، وأجزاء الأمعاء، ومات ميتة مخجلة، إذ سقط فوق ما نزل من بطنه، كان ذلك في يوم سبتٍ من أيام العام السادس بعد الثلاثين وثلاثمائة للميلاد، قبيل الغروب". (عزازيل ص٦٨)

إن دخول الدين في السياسة، واستغلالها له أدَّى دورًا مهمًّا في تزييف الحقيقة، ومحاولة طمسها، من خلال صنع أسطورة جديدة لتغييب الوعي، وهو ما حاولت رواية عزازيل كشفه من خلال اللغة الحواريَّة بين هيبا ونسطور التي تدور أغلبها في سريَّة؛ فيصارح نسطور هيبا كاشفًا عن حقيقة آريوس:

"أجد أن آريوس كان رجلًا مفعمًا بالمحبَّة والصدْق والبركة، إن وقائع حياته وتبتُّله وزهده، كلها تؤكِّد ذلك، أمَّا أقواله، فلست أرى فيها إلا محاولة لتخليص ديانتنا من اعتقادات المصريين القدماء في آلهتهم، فقد كان أجدادك يعتقدون في ثالوث إلهي، زواياه إيزيس وابنها حورس وزوجها أوزير الذي أنجبت منه من دون مضاجعة". (عزازيل ص٦٧)

د-صراع نسطور وكيرلس – تعرية الماضي

ويستدعي الراوي هاتين الشخصيتين التاريخيتين، اللتين مثَّلتا صراعًا آخرَ امتدَّت

نتائجُه إلى العصر الحديث، وكان له أثرٌ مهمٌّ في تشكيل مفهوم الديانة المسيحيَّة، وتعدُّد مذاهبها، "فهذه الشخصيَّات المرجعيَّة تصنع صورة مكثَّفَة، حيث تحتفظ الذاكرة بعناصر مميزة منها، مما يجعلها قابلة للاشتغال كرموز لحالات حياتيَّة، تُحيل إلى سلسلة من القيم والمواقف"[٢٣]، ويعد نسطور[٢٤] إحدى الشخصيَّات الدينية التي أثارت جدلًا في عصرها؛ "لقوله بأن للمسيح أقنومين، والأقنوم في عُرْف الكنيسة هو القائم في ذاته وبذاته"[٢٥]، واشتهر نسطور بمواعظه، فاختاره الإمبراطور أسقفًا على القسطنطينيَّة سنة ٤٢٨، وأخذ هناك بمقاومة الآريوسية وغيرها من المذاهب غير الرسميَّة، وفي نهاية السنة ذاتها ظهر بتعليمه الجديد، ومؤدَّاه أن العذراء ليست "أم الإله" حقًّا، وأن المسيح لا يقوم بأقنوم واحد، بل بأقنومين، خلافًا للعقيدة الرسميَّة التي ترى في المسيح أقنومًا واحدًا في طبيعتين لاهوتية وناسوتية؛ فينفي نسطور عقيدة التثليث، مُرجعًا إيَّاها إلى أصول الديانة المصرية القديمة؛ حين يُحادثُ هيبا:

"فهل نُعيدُ بعث الديانة القديمة؟ لا، ولا يَصِحّ أن يُقال عن الله إنه ثالث ثلاثة، الله يا هيبا، واحدٌ لا شريك له في ألوهيته". (عزازيل ص٦٧)

ويقول في سياق آخر محادِثًا هيبا كذلك:

"لا يجوز تسمية العذراء مريم ثيوتوكوس؛ فهي امرأة قديسة، وليست أمًّا للإله، ولا يجوز لنا الاعتقاد بأن الله كان طفلًا، يخرج من بطن أمه بالمخاض، ويبول في فرشه فيحتاج للقماط، ويجوع فيصرخ طالبًا ثدي والدته... الرب كامل، كما هو مكتوب، فكيف له أن يتَّخِذ ولدًا، سبحانه، ومريم العذراء إنسانة أنجبت من رحمها الطاهر، بمعجزة إلهيَّة، وصار ابنها من بعد ذلك مجلى للإله، ومُخلِّصًا للإنسان". (عزازيل ص ٣١٢)

فبحسب النسطورية لا يوجد اتحاد بين الطبيعتين البشرية والإلهية في شخص المسيح، بل مجرَّد صلة بين إنسان وإله، ويُرجَّح أن نسطور كان يتبع منهج ثيودوروس المصيصي[٢٦] في كتابه "تجسّد بن الله" هذا ما أدَّى إلى دعوة كيرلس[٢٧] أسقف الإسكندريَّة إلى عقد مجمع "أفسُس الأول" في عام(٤٣١)، الذي كفَّر نسطور وعزله، إذ وقّع حوالي ١٨٧ أسقفا على قرار المجمع القاضي بتجريد نسطور من الكرامة الأسقفية ومن درجة الكهنوت[٢٨]، ومُنِعَ من نشر آرائه، ثم نُفيَ إلى البطراء، ثم إلى صحراء مصر حيث مات

سنة ٤٥١، بعد وضع مؤلفه الأخير بعنوان "كتاب هيرقليدس الدمشقي" من خلاله يمكن الاطِّلاع على مذهب الرجل في تفاصيله[٢٩]، فقد ذهب كيرلس إلى أن الوحدة الأصلية في النسيج هي وحدة (الكلمة) المتجسِّد، فالكلمة هو ابن الله، وهو كامل قبل تجسده، ثم شاء أن يضم إليه الطبيعة الإنسانية التي لا تغنيه في شيء، لأنها لا تزيده شيئًا ثم (صار جسدًا) أيْ إنسانًا، لقد (وُلِدَ إنسانًا) على هذا النحو؛ فأقنوم الابن ينطوي في ذاته على الطبيعتين: الإلهية والبشرية على اللاهوت والناسوت جميعا، حتى قبل التجسُّد[٣٠]، لكن كيرلس قال أيضًا إن المسيح طبيعة واحدة، هي طبيعة الكلمة، وهو ما نتج عنه تأويلات ومواقف عقديَّة كثيرة، لم تقبلها الكنيسة، فيفرد الراوي هيبا الرق الثلاثين والأخير تحت عنوان الإيمان الجديد، مضمِّنًا الرواية نص هذا القانون كما أقرَّه مجمع أفسوس:

"نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجِّدك أيَّتها العذراء القدِّيسة، يا والدة الإله، يا ثيوتوكوس، لأنك وَلَدْتِ مُخَلِّص العالم، فأتى وخلَّص نفوسنَا. المَجْد لك، يا سيدنا وملكنا المسيحُ، فخر الرسل، إكليل الشهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس، غافر الخطايا، ندعو ونبشِّر بالثالوث المقدس، لاهوت واحد نسجد له ونمجِّده. يا رب ارحم. يا رب بارك. آمين". (ص٢٦٢)

هـ-لغة الخطاب الديني – أحادية أم ثنائيَّة

"الإنسان مفطور على حاستيْ الذاكرة والتوقُّع، إذ أنَّه ينظِّم حياته داخل شبكة نسيجها الماضي والحاضر والمستقبل"[٣١]، من ثم؛ يُصْبِحُ استحضار الحوادث التاريخيّة، القلقة، المتصلة بنشأة المذاهب الدينية، داخل نصّ جديد، محاولةً لمد جسر بين الماضي، الذي لم يمض، والحاضر الذي نعيش فيه، يتجلَّى هذا من خلال مزج الخطاب السياسي بمعانٍ وآيات من الإنجيل، كما فعل الأسقف كيرلس، من أجل استغلال العاطفة الدينيّة، التي هي مؤثر قوي في الجماعة الشعبية، حيث بدأ خطابه لشعبه في ساحة الكنيسة:

"يا أبناء المسيح، باسم الإله الحي أبارك يومكم هذا، وكل أيامكم، وأبدأ كلامي بالحق الذي تكلم به بولس الرسول في رسالته الثانية إلى تيموثاوس، حيث يقول له، ولكل مسيحي في كل زمان ومكان: احتمِلِ الْمشقَّات كجندي صالح

للمسيح يسوع، فالذي يتجنَّد لا ينشغل بهموم الحياة حتى يرضي الذي جنده، والمجنَّد لن ينال إكليل النصر حتى يجاهد الجهاد الشرعي". (ص١٨٥)

كانت لغة كيرلس اليونانيَّة قويَّة بليغة، تملأ أطراف القلوب وجنبات الصدور، فلغة الخطاب الديني في الفترة الزمنية المرجعية للرواية، اعتمدت على لغة أحاديَّة الجانب، تنفي الآخر، لغة تحريضيَّة، تدعو إلى القتال من أجل أغراض سياسيَّة مغلَّفة بالنصّ الديني المقدس، لغة خادعة، تخدع العامة من خلال استغلال عاطفة دينيَّة، لغة محفزة، بمنحهم المجد السماوي والحياة الأبديَّة؛ فيعلِّق هيبا في مذكراته على هذا المشهد، قائلا:

"كانت العيون تنهمر بالدمع، وكاد الحماس يفجِّر الوجوه، فقد ملك الأسقف قلوب الناس بكلامه". (عزازيل ص١٨٦)

فإشكاليّة النص الدينيّ بشكل عام، هي قابليته للتأويل، فالخطاب الديني له خطورته، حين يُوظَّفُ في إطار سياسي، بعيدًا عن هدفه الذي وُضِع من أجله، فيستدعي كيرلس الآية السابقة من "إنجيل متى" للتحريض على القتال وإدانة الآخر المختلف عقائديًّا؛ فيُدين البابا كيرلس كل الأفكار السائدة في عصره، معتبرا إياها هرطقات"Heresies"[٣٢]، لا ينبغي الحديث عنها:

"فهؤلاء الذين يسمون أنفسهم بالأخوة طوال القامة، لن نعاود النظر في أمرهم الذي انحسم، ولن نخوض في جدل هرطوقي جديد، من أجل البحث في صحَّة معتقد صاحبهم أوريجين، بعدما أدانه البابا سيفيلون أسقف هذه المدينة العظمى". (ص١٨٦)

ويضمن الراوي/ هيبا خطبة كيرلس أسقف الإسكندريَّة إلى شعبه، ليكشف العلاقة بين (الديني والدنيوي)، فرجل الدين يستغل المقدس الديني من أجل القتل الدنس، تحت مسمَّى الجهاد، ونيل الشهادة، والالتحاق بمنزلة القديسين، مستغِلًّا الخطاب الديني الذي يقوم على لغة أُحادية، تنفي وجود الآخر.

و- الجهاد بين القداسة والدنس

بعد انعقاد مجمع نيقيَّة الأول بمشاركة أساقفة من جميع أنحاء العالم، والحكم

بهرطقة آريوس، بسبب اعتقاده بأن الابن كائن مخلوق، غير مساوٍ للأب، وُضِعَ قانون الإيمان الجديد، وأقرَّ المجمع نظام البطريركيَّات الخمس الكبرى، ونظَّم قواعد تعاملها مع بعضها البعض، وفي أعقاب المجمع أخذت الأديان الوثنيَّة بالتقهقر والتراجع أمام المسيحيَّة، وقد طُبِعَت تلك المرحلة بطابع دمويّ من الحروب الأهليَّة والانقلابات، خصوصًا في الإمبراطوريَّة الرومانيَّة الغربيَّة، "وأدَّى انعدام الأمن إلى انتشار الاضطهادات الدينيَّة، فمارست المسيحيَّة الاضطهاد تجاه الوثنيَّة، ويمكن الأخذ بتجربة البطريرك أثناسيوس الإسكندري في مصر مثالًا على ذلك"[٣٣]، فاستغل رجال الكنيسة آيات الإنجيل للقيام بالاغتيالات والقتل، فيرتكز كيرلس على هذه الآية: "اشْتَرِكْ أَنْتَ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ كَجُنْدِيٍّ صَالِحٍ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ"[٣٤] لتشريع القتل، وتحويله إلى مقدس، والدفاع عن الدين باسم المسيح، هذا القتل لم يتوقف فقط عند حد الوثنيين، لكنَّه مُورِسَ كذلك ضد أتباع الديانة المسيحيَّة المختلفين مذهبيًّا مع المذهب الرسمي للدولة، فقد لعب الاضطهاد الديني دورًا أساسيًّا في انتشار أفكار ودحض أفكار أخرى، "فالمسيحيُّون الأوائل كانوا ينظرون عادةً إلى ما سبقهم تاريخيًّا، باستثناء اليهوديَّة على أنه تراث وثنيّ ينبغي لهم أن يطمسوه"،[٣٥] وهذا ما آثر هيبا تدوينه في مذكراته، مُبرِزًا تناقضًا فجًّا بين الدين واستخدامه، فيتعجَّب هيبا وهو شخصية الراهب الذي اخترعها المؤلِّف الحقيقي، ليكون شاهدًا على عصر ماضٍ عجّ بالتناقضات بين استخدام المقدس من أجل الدنس، فيقول هيبا مُعلِّقًا:

> "هيئة الأسقف المهيبة أثارت استغرابي، وهيَّجت حيرتي، كانت المرة الأولى التي أراه فيها، لأنه أطلّ علينا من مقصورة مذَّهبة الجدار بالكامل، هي شرفة واحدة، فوقها صليب ضخم من الخشب، مُعلَّق عليه تمثال يسوع المصنوع من الجصّ المُلوَّن، من جبهة المسيح المصلوب ويديه وقدميه، تتساقط الدماء الملوَّنة بالأحمر القاني". (ص ١٨٤)

فما يُثير استغراب هيبا المظهر الديني الذي يتخذه كيرلس مخالفًا لهيئة المسيح، ولمضمون الديانة التي قامت على فكرة الفداء والتضحية والتسامح، لا على القتل والدمار، الذي عانى منه أتباعها في بداية المدّ الديني المسيحي، ثم لم يلبثوا أن مارسوه هم أنفسهم، فما يدور في الإسكندريَّة – مركز الصراع – بين الديانات والمذاهب المتناحرة،

هيَّج في فكر هيبا هذا التناقض، ليقول له نسطور في محاولةٍ للتصحيح:

"يا هيبا، ما يجري في الإسكندريَّة لا شأن للديانة به.. إن أول دم أريق في هذه المدينة، بعد انتهاء زمن الاضطهاد الوثني لأهل ديانتنا، كان دمًا مسيحيًّا أراقته أيادٍ مسيحيَّة! فلا تخلط الأمور ببعضها يا ولدي، فهؤلاء أهل سلطان لا أصحاب إيمان.. أهل قسوة دنيويَّة، لا محبَّة دينيَّة" (ص٢٣٤)

وتأتي خطبة كيرلس الحاسمة قبل مشهد قتل "هيباتيا" التاريخي، مبدوءةً بالصلاة المذكورة في إنجيل متى: "أبانا الذي في السماوات، ليتقدَّس اسمك، ليأتِ ملكوتك، لتكن مشيئتك، في السماء، وكذلك في الأرض.." (ص ١٩٢)

ثم يتّجه إلى اللغة الأحاديَّة التي تنفي وجود الآخر، وتحرِّض على قتله، لضمان العيش الآمن:

"الأنجاس، مازالت تثير غبار الفتن في ديارنا. إنهم يُعيثون حولنا فسادًا وهرطقة، ليشوِّهوا إيمانكم القويم، يريدون إعادة بيت الأوثان الكبير". (ص ١٩٢)

فإذا كان الآخر نجسًا، ومدنسًا، وعلى باطل، فيصير التطهير واجبًا على أصحاب الحق:

"ما دمتم بحق، جنود الرب. ما دمتم بحق، جنود الحق.. لقد صدق ربنا يسوع المسيح، حين نطق بلسان من نور، فقال: الحقّ يطهِّركم! فتطهَّروا يا أبناء الرب، وطهِّروا أرضكم من دنس أهل الأوثان، واعلموا أن ربنا المسيح يسوع، كان يحدِّثنا نحن أبناءه في كل زمان، لما قال: ما جئتُ لأُلقي في الأرض سلامًا، بل سيْفًا، فإنِّي جِئْتُ لأُفرِّق الابن ضدَّ أبيه، والابنة ضِدَّ أُمِّها". (ص ١٩٣)

بهذه الكلمات أسس كيرلس للقتل تأسيسًا شرعيًّا مقدّسًا؛ فيتخذ الجهاد مفهومًا دمويًّا من خلال هذه العبارة على لسان المسيح "ما جئتُ لأُلقي في الأرض سلامًا، بل سيْفًا"، فالتطهير ليس تطهيرًا روحيًّا، يقوم على مجاهدة النفس، بل يسلك مسلكًا آخر عنيفًا يقمع الآخر؛ وبعد إشعال كيرلس لغضب عوام المسيحيين، اتجه بطرس ومن معه بسكين طويل الصدئ، وراحوا يهتفون عند رؤيتهم "هيباتيا"[٣٦] راكبة عربتها ذات الحصانين: "الكافرة

ركبت عربتها ولا حرَّاس معها" (عزازيل ص١٩٥)، فسحبوها من شعرها مردِّدين الهتافات الدينيَّة "باسم الرب سوف نطهِّر"، وجروها كذبيحة، جرّدوها من ملابسها، سحلوها بحبلهم الخشن، حتى تقرَّح لحمها، وعلا صراخها، وصار جسدها قطعًا من اللحم المتهرئ، ثم ألقوها فوق كومة كبيرة من الخشب، بعد أن صارت جثَّة هامدة، وأشعلوا النار!!

هذا الحادث الذي استدعى داخل هيبا حادث مقتل أبيه على يد المسيحيين داخل معبد الإله خنوم، الذي يستقبل جريان النيل، عند الطرف الجنوبي من جزيرة إلفنتين الواقعة جنوب مصر، بالقرب من أسوان:

"كان أبي غير مُتحصِّنٍ بشيء، يصرخ تحت طعناتهم مستغيثًا بالإله الذي كان يؤمن به... خطفوا مشنَّة السمك، وقذفوا بها في وجه بوابة المعبد المغلقة بإحكام، ثم حملوا جثَّة أبي المهترئة، فألقوا بها فوقها، اختلط دمه ولحمه وأسماكه بتراب الأرض التي ما عادت مقدَّسة!!". (ص٥٢)

فتُدين الرواية هذا الاضطهاد الديني الدامي على لسان أحد رجال الدين المُنتمين لهذا العصر وهو "نسطور"، نافيًا أن يكونَ ما تم ذا صلةٍ بالدين:

"يا ولدي، حياتنا مليئة بالآلام والآثام، أولئك الجُهَّال أرادوا الخلاص من موروث القهر بالقهر، ومن ميراث الاضطهاد بالاضطهاد، وكنتَ أنت الضحِيَّة". (ص٥٣)

أمَّا الجهاد بحسب آيات الإنجيل، فهو جهاد روحي لا حربي، جهاد يتحدى النفس لا الآخر، يُقاوم رغبات الإنسان المحرمة نفسه، فينتصر على شهواته، ويسمو عليها؛ فهذه هي غايته العظمى؛ فلم يَرِد على لسان المسيح أن نادى باستخدام الجهاد بمعنى القوة ضد من يعاديه، بل قال: "أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" (متى٥: ٤٤)، أيضًا قال: "رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!" (متى٢٦: ٥٢)، فلم يُذكر تاريخيًّا أن المسيح قد مارس الجهاد (بالمفهوم المتداول) في بداية المسيحية عندما وقع عليهم الاضطهاد، فيقول بولس: "وَنَتْعَبُ عَامِلِينَ بِأَيْدِينَا. نُشْتَمُ فَنُبَارِكُ.

نُضْطَهَدُ فَنَحْتَمِلُ. يُفْتَرَى عَلَيْنَا فَنَعِظُ" (١كو٤: ١٢ – ١٣)

على هذا النحو؛ بيَّنت رواية "عزازيل" خطورة استغلال المقدس لصالح الدنيوي، وأبرزت تناقُضًا فجًّا بين حقيقة الدين، وطريقة استخدامه.

ز–تدوين الأناجيل الأربعة المُعْتَمدَة

(الكلام الإلهي – الكلام البشري)

يُعدُّ الإنجيل مصدرًا رئيسًا تستقي منه رواية "عزازيل" أفكارها الدينيَّة، إذ تعتمد الرواية بشكل أساسي على أقوال المسيح؛ فالمسيح وإن لم يكُن حاضرًا بشخصه في الرواية، لكنه حاضِرٌ بكلماته من خلال الأناجيل المتداولة بين رجال الدين في الفترة التاريخية المَرجعيّة للرواية؛ ففي حديث الأسقف تيودور إلى رهبان وقساوسة كنيسة القيامة عن ماهية المسيح، والفرق بين العهد القديم والعهد الجديد:

> "إن يسوع المسيح فاصل بين زمانين، وهو مُفْتَتحُ العهد الثاني للإنسانيَّة، الزمان الأوَّل ابتدأ مع آدم، والثاني بدأه المسيح يسوع. ولكل زمانٍ منهما طبيعة وأحكام كانت معلومة لإلهنا الرحيم منذ الأزل، الآب السماوي خلق آدم على صورته، ليكون خالدًا. غير أن آدم انخدع بوسوسة إبليس، فعصى الرب القدوس، وأكل من الشجرة المنهِيّ عنها، على أمل أن يصير إلهًا، خدعه عزازيل اللعين بوسوسته، فأخطأ آدم، وعُوقِب بالطَّرْد من الجنَّة، بحُكم قُدْسِيَّة الربّ الإله". (عزازيل ص٣٥)

فيتَّكئ النص السردي في رواية عزازيل على الفصل بين زمنين، زمن المسيحيَّة وما قبلها، ويكون المجيء، مجيء المسيح، هو هذا الحد الفاصل، هذا ما أدَّى إلى صراع آخر حول كتابة الأناجيل، وتداولها، وإقرارها، أو منعها.

وإنجيل Injil الاسم العربي لـــ "البشارة" في القرآن والحديث المتواتر لمسلم، ومُشتقّ من الكلمة اليونانيَّة "إفنجيليون"، وهو لا يُعطَى مجرَّد اسم لإنجيل واحد بل يُطْلَق على الأربعة، ومن ثم، فهو يُطْلَق على "العهد الجديد"[٣٧]، يقول الأسقف تيودور عن الإنجيل:

"وما معنى كلمة: إنجيل؟ إنه كما قال يوحنَّا ذهبيّ الفمّ[٣٨]، القديس: الأخبار المُفْرِحَة، لأنّ الإنجيل بُشرَى بالعفْو عن العقوبة، وغُفران للخطايا، هو تبرئة وتقديس، وميراث سماويّ، صار معه عزازيل في خِزْيٍ، وصِرْنَا مُطَوَّبين بفيض الرجاء". (ص٣٥)

فقد طرحت رواية عزازيل الأناجيل بين كونها مقدَّسة، فهي نعمة الرب الذي أرسل المسيح، ليفتتح به عهدًا جديدًا للإنسانيَّة فاديًا ومخلِّصًا العالم من خطيَّة آدم، ومرسلًا من بعده التلاميذ الهادين لنا، المُهدين إلينا الأناجيل، وبين فكرة أخرى، وهي أنّ هذه الأناجيل وُضِعت تماشِيًا مع ظرف تاريخي معيَّن، بحسب أهداف السلطة الزمنية، "يذهب المعلِّقون على الترجمة المسكونيَّة للكتاب المقدَّس، إلى أنَّ إنجيل "متَّى" قد كُتِبَ بسورية وربما بإنطاكية أو بفنيقيَّة، حيث كان يعيش في هذه الأماكن عدد كبير من اليهود، ومن خلال قراءة هذا الإنجيل يمكن استشفاف معركة فكريَّة موجَّهة ضد اليهود المعبديَّة الأرثوذكسيَّة الفريسيّة، التي ظهرت بالمجمع الكنسي اليهودي، الذي انعقد في بليدة جامنيا في نحو العام ٨٠، وفي ظل هذه الظروف يكثر عدد الذين يؤرخون للإنجيل الأول ما بين ٨٠ و ٩٠، أو ربَّما قبل ذلك بقليل"[٣٩]، "وأكثر من نصف إنجيل متَّى مقتبس من إنجيل مرقس، رغم أنه كُتِبَ في الأصل باليونانيَّة، ويعكس سمات إغريقيَّة واضحة"[٤٠]، وإنجيل متَّى هو أول كتاب من العهد الجديد، ويروي كيف قام المسيح بعد رفضه من قِبَل بني إسرائيل للتبشير بالإنجيل إلى العالم كله[٤١].

أمَّا إنجيل مرقس فربَّما يعود تأليفه إلى الفترة ما بين (٦٦ – ٧٠)[٤٢] ، ويظهر في الترتيب الثاني في العهد الجديد؛ لأنَّه كان يُعْتَقَد أنَّه مُلَخَّص لإنجيل متَّى، ولكن معظَم العلماء الآن يعتبرونه أقدم إنجيل مكتوب[٤٣]، "ويحمل هذا الإنجيل طابعًا بولسيًّا، إذ يتَّجِه بالحديث إلى قرَّاء اليونانيين والرومانيين، وقد كُتِب في أثناء التمرُّد على الحُكْم الرومانيّ بين أعوام ٦٦ و٦٧، الذي صُلِبَ فيها آلاف اليهود"[٤٤]، ويُعدُّ إنجيل لوقا أطول كتاب في العهد الجديد، ولوقا هو نفسه كاتب سفر "أعمال الرسل"، حُرِّر هذا الإنجيل غالبًا بين ٨٠ و ١١٠"[٤٥]، وآخر الأناجيل الأربعة التي يضمُّها سفر العهد الجديد، هو إنجيل يوحنَّا، "وكان تأليفه في عام ١٠٠ تقريبًا، بجوار مدينة أفسس اليونانيَّة، ويخلو هذا الإنجيل من مشهد الميلاد، فهو لا يتطرق إلى ولادة المسيح العجائبية، وفاتحته تحمل طابعًا

غنوصيًّا، ونصُّه ذو سمَّة سرانِيَّة أكثر من الأناجيل الأخرى، وكذلك يختلف عنها من حيث المحتوى"[٤٦].

يحضُرُ هذا الصراع المسيحي – اليهودي في رواية عزازيل من خلال خطب رجال الدين الزاعقة، التي تبرز تناقُضًا بين النص والواقع، فحين يهتف القسّ في شعبه قائلًا:

"الربُّ يحبُّكم؛ فأحبُّوه. صلُّوا إليه قبل نومكم وبعد صحوكم، فتناموا بين يدي رحمته. المحبَّة روح الله، فأحبُّوا إخوانكم وأقاربكم وأولادكم، وأحبوا أعداءكم". (ص ٨٥).

فيحدث التعليق من جانب فلاح خبيث النظرات لمن حوله، فيهمس بسخرية الخراف الضالة (كما يصفه هيبا)، متسائلًا: (وهل يحبّ سيّده كيرلس إخوانه اليهود؟)، فيضحك المحيطون به بتكتُّم، ويقول أحدهم: (طبعًا، كيرلس يحبهم إلى درجة موتهم وطردهم خارج الأسوار). (ص٨٥).

هكذا بدا صوت القس زاعقًا عاليًا مُهيْمِنًا، يستند في خطابه على لغة دينيَّة مستمدَّة من كلام الرب بحسب ما كتبته الأناجيل المتداولة، في حين تأتي لغة أخرى خفيضة، هامسة، ساخرة من الوضع الديني الزائف، فتُعلن الحقيقة لكن بتكتُّم، ويقف هيبا بين هذا وذاك شاهِدًا على هذا العصر، وقائمًا بدور السارد لأحداث مسكوت عنها في التاريخ الإنساني، رافضًا قداسة الأناجيل وانتسابها إلى الله، فهي بالنسبة له ليست إلا صناعة بشريَّة تكرِّس لمفهوم العنف ضد الآخر.

اتخذت علاقة هيبا بالأناجيل أبعادًا ومُنحنيات مختلفة، بدأت بالإيمان التامّ بكل ما جاء فيها، إذ كانت بمثابة نصًّا مُقدَّسًا (كلام الربّ)، اِتكأ عليه في رحلة البحث عن القداسة، تتبَّع المواضع التي نزلها وعاش فيها المسيح؛ للتحقُّق من تاريخيتها، والتخلُّص من الشكوك التي تنتابه حولها:

"في الناصرة لم أجد أي أثر يدل عليه، ولا أي مبنى باقٍ ليُحِّدث عن زمانه! فاحترت، ثمّ خرجت عن مساري إلى بقِيَّة القرى التي ذكرتها التوراة والأناجيل، والكُتب المقدَّسة القانونيَّة، والأسفار غير القانونيَّة، التي صِرنا مؤخَّرًا نُسمِّيها الأبوكريفا، انتابتني في جولاتي شكوك كثيرة". (ص٢٦)

لم يجد هيبا القداسة التي يبحث عنها بالاعتماد على هذه الكتب المقدَّسة، ثمّ تتأكّد شكوكه بعدم قداسة الأناجيل بعد انعقاد مجمع أفسوس وإقرار قانون الإيمان الجديد، مع توصيَّات مشدّدة بتعميمه على الشعب كله، وتلاوته بجميع الكنائس، بما يليق به من إجلال.

ح-حرق الكتب – تزييف الوعي

ويتَّصل بمفهوم الجهاد أو القتال تيمة أخرى تاريخيَّة استدعاها السرد الروائي في رواية عزازيل، وهي حرق الكتب، وهي تيمة متكررة في الموروث المسيحي والإسلامي، وهي مرتبطة بالعنف بالمفهوم الأوسع، وبتزييف الوعي من خلال نفي التعدُّديَّة، وتكريس الفكر الواحد، ووجهة النظر الأحادية، وسحب كل ما عداها، فكانت إحدى قرارات المجمع المسكوني الأول الذي أمر الإمبراطور قسطنطين بانعقاده إحراق الأناجيل غير المعتمدة، وكتب آريوس بعد أن قام باغتياله:

"كما أمر الإمبراطور يا أبتِ، بإحراق كتبه وبإحراق كل الأناجيل التي بأيدي الناس، عدا الأربعة المشهورة" (عزازيل ص ٦٦)

فيستدعي السرد التاريخي هذا الحادث الذي تم في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة للميلاد، حينما أمر اللجنةَ التي شكَّلها من القسوس المتشددين، سعيا منه لإرضاء الأساقفة:

"اللجنة راحت تفتِّش دور الكتب، وتدهم بيوت الناس، لتجمع كتب الفلاسفة والمهرطقين، والأناجيل غير الأربعة المعترف بها، والكتب الدينيَّة المخالفة لما استقر من رأي الأساقفة، والرسائل الغنوصيَّة، كانوا يجمعون كل ذلك في ساحات المدن والقرى، ويحرقونه علَنًا، مهددين من يخفي هذه الكتابات الممنوعة بالويل.. الويل". (عزازيل ص٤٥٢)

رغم هذا؛ كان هيبا يحب الاحتفاظ بهذه الكتب الممنوعة في سرّيَّة، فلم يفصح لأحد عنها إلا لنسطور، وهذا ما يكشفه الحوار بينهما:

"- حفظك الرب يا هيبا.. بمناسبة كلام السيد المسيح، هل لديك نسخة من إنجيل توما؟

-نعم يا أبتِ، وعندي أيضًا نسخة قديمة من إنجيل المصريين، وإنجيل يهوذا، وسفر الأسرار.. فأنا أحب اقتناء الكتب، ابتسم المبجل نسطور وهو يقول إنني أحتفظ بكل الكتب الممنوعة!". (عزازيل ص ٤٥)

هكذا تشير الرواية إلى حالة المنع والإخفاء التاريخيين، التي صاحبت الأفكار الدينيَّة والفلسفيَّة، إذا ما تعارضت مع السلطة الزمنيَّة، وهذا ما حدث مع الأناجيل نفسها، إذ تُقسَّم الأناجيل التي دوَّنت أقوال المسيح وأفعاله والمعجزات التي قام بها، إلى قسمين: أناجيل معتمدة من الكنيسة، وهي "الأناجيل القانونيَّة" Canoiques، وأناجيل غير معتمدة، وتُسَمَّى "أبو كريف" Apocryphes، والأناجيل المعتمدة أربعة، هي: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، وهذه بدورها قسمان: الثلاثة الأولى تسمَّى الإزائيَّة Synoptiques، أمَّا الرابع وهو إنجيل يوحنَّا، فذو طابع غنوصي أو عرفاني ولا سيما مطلعه الذي يواحد بين "الكلمة" التي نطق بها الله عند بدء الخلق، كما جاء في سفر التكوين من "العهد القديم"، وبين المسيح[٤٧].

فبعد عام من مجمع نيقيَّة، الذي انعقد في العام ٣٢٥، وفيه أُعلن (المسيح) إلهًا بالتصويت، أمر الإمبراطور قسطنطين الأول بإتلاف جميع الأعمال التي تعارض التعاليم الأرثوذكسية، وهي الأعمال التي وضعها مؤلفون وثنيُّون ذات صلة بالمسيح، والأعمال التي كتبها مسيحيّون "هراطقة"، كذلك عمد إلى رصد مبالغ ثابتة وقفها على الكنيسة، وأحل أسقف روما في قصر "الاتران"، ثم في عام ٣٣١ كلَّف لجنة إعداد نسخ جديدة من الكتاب المقدَّس، ورصد لها المال اللازم[٤٨]، وبهذا تهيّأت الفرصة للمسيحيّة الأرثوذكسية لإعلان المسيح "ابن الإله"، ودحض الغنوصيَّة التي قالت إنه: "ابن الإنسان" الذي يُقصد به آدم، فالمسيح عرَّف نفسه قائلًا: "كل خطيئة وكفر يُغْفَر للناس، وأمَّا الكفر بالروح فلن يُغْفَر، ومن قال كلمة على ابن الإنسان يُغْفَر له، أمَّا من قال على الروح القدس، فلن يُغفر له لا في هذه الدنيا، ولا في الآخرة"[٤٩].

فصارت هذه الأناجيل غير المعتمدة، هي الأناجيل التي لا تعترف بها الكنيسة سندًا للإيمان المسيحي، وقد تأخذ بها على سبيل الاستئناس، وهي كثيرة، من أهمها إنجيل

بطرس، وأناجيل الطفولة، وإنجيل توما، وإنجيل مريم، وإنجيل فيليبس[٥٠]، فعبارة إبيجراف العهد القديم "هي وصف مختصر لمجموعة أدبية شاملة تكوَّنت من القرن الثالث قبل المسيح إلى القرن الثالث الميلادي، وهذه الوثائق قد كُتِبَت بمختلف اللغات كالعبرية والآراميَّة"[٥١]، "والنصّ الأبوكريف كان يعني أنه أثمنُ من أن يُوضَع بين أيدي عامَّة القُرَّاء، وإنما يجب حفظه وِفْقًا على من هم مُؤَهَّلون لتسلُّم الأسرار؛ أيْ على الدائرة الضيِّقة من المؤمنين، والنصوص التي كانت تُتْلَى علنًا في الكنائس والمكاتِب، أصبحت فجأةً نصوصًا سِريَّة"[٥٢]، وقد تجلَّت هذه التيمة التاريخيّة في الرواية (تداول الكتب الممنوعة سِرًّا)، فكانت هناك جرأةٌ في الحديث عن هذا الجانب المسكوت عنه، والاقتراب من الممنوع، من خلال شخصيَّة الراهب "هيبا" القارئ المثقَّف، الذي يمتلك كل الكتُب الممنوعة، وتدور في رأسه أسئلة شائكة لا تقنع بإجابات سطحيَّة، جاهزة، أعدها رجال الدين لِيُسْكِتُوا بها عامَّة الشعب، فيفصح هيبا لنسطور عن هذا السِّر:

> "ضحك نسطور بعذوبة نورانيَّة، وهو يقوم ليُسنح لي الفرصة لطيّ الكليم الدمشقِيّ المنسوج من وبر الجمال، الكليم المزركش الذي ما يزال إلى الآن مفروشًا تحتي، بل هو فرشتي الوحيدة منذ ذلك الزمان. رفعتُ ألواح السرير، فبدت الكتب ولفائف البردي، لما رفعتُ اللوحة الأخرى، وانكشف كنزي المخبوء كله". (عزازيل ص٤٧)

فضمّ هيبا في كنزه المخبوء هذا خطب شيشرون، وكتاب "التاسعوت"[٥٣] لأفلوطين، وكتاب "ثاليا" لآريوس، ومدينة الله للأسقف أوغسطين،(في هذا الكتاب يعود أوغسطين إلى التقسيم الثلاثي الأفلاطوني في الفلسفة، ويذكره مع رأيه في الفلسفة، أن مسائلها ترتد كلها إلى مسألة النفس والله، فيقسم الفلسفة إلى فلسفة طبيعيَّة غرضها الطبيعة، وإلى منطق أو علم عقلي يمد بالوسائل التي تكفل معرفة الحق، وإلى علم في الأخلاق أو العادات أخيرًا يعالج الأخلاقيَّات)[٥٤]، والترجمة القبطيَّة لمسار الرحلة المقدَّسة، الذي كتبه الأسقف سيفيلون السكندري، وكتاب الخروج إلى النهار، الذي يحكي عن يوم البعث بحسب المعتقد المصري القديم، وكتب أخرى تحمل صور الآلهة المصرية كالإله خنوم، هذه المعرفة المُتشعِّبة بين المُباح والممنوع، جعلت هيبا يستمد أفكاره من الغنوصيّة.

ط-الغنوصيَّة (التمرُّد على الموروث الدينيّ)

هي مصطلحات حديثة تُطْلَق على مجموعة من الأفكار والمعارِف المُتَّصلة بالديانات القديمة، التي انبعثت من المجتمعات اليهوديَّة في القرنين الأول والثاني الميلاديين، وبحسب تفسيرهم للتوراة اعتبر الغنوصيون أن الكون المادي هو انبثاق للرب الأعلى الذي وضع الشعلة الإلهيَّة في صلب الجسد، ويمكن تحرير أو إطلاق هذه الشعلة عن طريق معرفتها[٥٥]، وقد انتشرت الأفكار الغنوصية في محيط البحر المتوسط في القرن الثاني الميلادي، متأثِّرةً بأفكار الحركة المسيحيَّة الأولى، والنظريَّات الأفلاطونية الوسطى، والمعنى الحرفي لكلمة "غنوسس" اليونانية، هي المعرفة الشخصيَّة المستفادة من الخبرة النفسية، أمَّا المعنى الديني فهو المعرفة الروحيَّة المبنيَّة على العلاقة مع الله، فالصلاح والخلاص في معظم الأفكار الغنوصيَّة هو "المعرفة بالله"، وهذه المعرفة الداخليَّة للإنسان تختلف عن مفهوم المعرفة الأفلاطونيَّة المحدثة، التي تدعو إلى المعرفة الخارجيَّة، ومختلفة كذلك عن المفهوم المسيحي الأرثوذكسي الأول[٥٦].

بدأت الغنوصية المسيحيَّة بشكل واضح مع تباشير بولس الرسول ويوحنَّا، وبخاصَّةٍ عندما تناولا الفرق بين الجسد والروح، وتجريد الشريعة اليهوديَّة من الأهليَّة، ففي هذه الحقبة أُعتُبِر أن الجسد هو ماديّ يُفنى، بينما الروح فهي أبديَّة، يمكن خلاصها، وبدأت معهم تأخذ فكرة الغنوصيَّة معاني مهمةً وعميقة[٥٧]، وتؤمن العقيدة الغنوصيَّة بأنَّ الخلاص يأتي من المعرفة السريَّة "غنوسيس"، فهم لم يروا يسوع على أنه مُخلِّص، بل على أنه مصدر المعرفة، وتُعتبر الإسكندريَّة منشأ الغنوصية بسبب تزاوج العديد من الثقافات فيها، منها: المسيحيُّون واليهود والإغريق، كما انتشرت فيها الأطروحات الفكريَّة والمعروفة في ذلك الزمن بالقيامة اليهوديَّة، وأطروحات الحكمة الربانيَّة، والفلسفة اليونانيَّة، والديانات الهيلينيَّة السريَّة[٥٨].

ويظهر تأثُّر هيبا بالغنوصيَّة في تمرُّده على التراث الدينيّ السائد في عصره، وتشكيكه في حقيقة صلب المسيح، والإشادة بالعقل، ورد المعرفة إليه، وطرحه لأسئلة وجودية حول: حقيقة الله، ولماذا أمر آدم بالابتعاد عن شجرتيْ المعرفة والخلود؟ ولماذا انزعج عندما أكل آدم من شجرة المعرفة؟ ولماذا أراد الله أن يبقى الإنسان جاهلًا، وإذا كان

الله عدلًا ومحبَّة، فلماذا يخلق الشر؟ من الذي كان موجودًا قبل وجود الإنسان على الأرض. الله، الملائكة، الشيطان؟ ماذا كانوا جميعًا يفعلون، قبل وجودنا وانشغالهم بنا؟ وقد تجلَّى هذا البعد بوضوح في حوارات هيبا ونسطور، فيسأل نسطور؛ قائلًا:

"يا سيدي، هل تعتقد أن يسوع هو الله، أم أنه رسول الإله؟

-المسيح يا هيبا مولودٌ من بشر، والبشر لا يلد الآلهة، كيف نقول إن السيِّدة العذراء ولدت ربًّا، ونسجد لطِفْل عمره شهور، لأن المجوس سجدوا له! المسيح معجزة ربَّانِيَّة، إنسان ظهر لنا الله من خلاله، وحلَّ فيه، ليجعله بشارة الخلاص، وعلامة العهد الجديد للإنسانيَّة". (عزازيل ص ٥٩)

واختيار الرواية لاسم "عزازيل" يشير إلى هذا البُعْد الغنوصي؛ "فبعض الفرق الغنوصيّة تنظر إلى عزازيل على أنه مصدر احترام وتقدير؛ فهو صديق الإنسان، وكاشف الغنوص (المعرفة) الذي لم يرض للبشريَّة أن تظلّ في غيابات جُبّ الجهل، بينما ينظر إليه آخرون على أنه رأس الفساد والانحراف"[٥٩]، "والعقل الذي تشيد النزعة الإنسانيَّة به ليس ذلك العقل الجاف المجرَّد التفكير، الذي يشبه آلة تنتج تصوُّرات شاحبة غادرتها الحياة"[٦٠]، وهذا ما يتضح في شخصية هيبا، فكتابة الشعر – بالنسبة لهيبا – تأتي تعبيرًا عن إلحاح داخليّ لا يتمّ إلا في عزلةٍ، إذ كانت تأخذه إلى أفق بعيدٍ، هذا الأمر يتَّسق مع ميله إلى نسْج الأحداث والوقائع المحرَّمة في خياله، حين لا يقدر أن يقوم بفعلها بشكل صريح، وبهذا يتخلَّص من تأنيب الذات وعذاب الروح.

الخاتمة

حاولتُ – في هذا المبحث – التوقُّف أمام المصادر الدينيَّة التاريخية في رواية "عزازيل"؛ إذ استمدَّت الرواية أفكارًا مرتبطة بالرهبنة، وحياة الدير، والصراع الديني الدائر في الفترة التاريخيَّة التي كُتِبَتْ فيها الروايةُ، وقدَّمت نماذجَ عديدةً للرُّهبان، معتمدةً على بعض الشخصيَّات المرجعيَّة، أو الشخصيَّات المتخيَّلة، لمناقشة كيف تشكَّلت الأسطورة المسيحيَّة، والعلاقات التي ربطتها بالوثنيَّة واليهودية والمذاهب الفلسفية التي سبقتها أو عاصرتها، وقدّمت الرواية نقدًا شاملًا لهذه الفترة، عبَّرت فيه عن العديد من

القضايا شديدةَ الخصوصيَّة، لكنها لم تعترف بطريق الرهبنة بوصفه سبيلًا للوصول إلى المقدَّس، بل أبرزت صورًا من العنف وتزييف الوعي نتيجة توظيف الدين لِصالِح أغراض سياسية محضة تخدم السلطة، وهذا ما جعل الدين – في وجهة نظر الرواية – سببًا رئيسا في تكريس مفهوم الصراع والعُنْف بين الأديان.

الهوامش:

١- عبد الرحيم الكردي: البنية السردية للقصَّة القصيرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٥، ص١٠٧
٢- يوسف زيدان، عزازيل، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨، ص١١
٣- بوشعيب الساروي: التاريخ والتخييل، المماثلة والاختلاف، مجلة فصول، العددان: ٨٩،٩٠، ٢٠١٤، ص٧٣
٤- ليندا هتشيون، رواية الرواية التأريخية، تسلية الماضي، مجلة فصول: دراسة الرواية، المجلد١٢، ع٢، ١٩٩٣، ص١٠٨
٥- عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية المعاصرة، الرجل الذي فقد ظله نموذجًا، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦.ص ٣٢
٦- سعيد يقطين: قال الراوي البنيات الحكائيّة في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧، ص٩٦
٧- محمد مصطفى علي: الرواية والتاريخ السحري للحاضر، مجلة فصول، العددان٨٩ و٩٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤، ص٥٦٥
٨- أديب نصر الدين، الينابيع في المسيحيَّة والإسلام، دار النضال، بيروت، ١٩٩٤، ص ١٥٧
٩- ميشيل بجينت، هنري لنكولن، ريتشارد لي، الدم المقدَّس الكأس المقدسة، ت: محمد الواكد، دار الأوائل، دمشق، ط١، ٢٠٠٦، ص٣٤٤
١٠- نور الدين الزاهي: المقدس والمجتمع، أفريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٢٠١١، ص٣٨
١١- انظر: صمويل كريمر، من ألواح سومر، ت: طه باقر، تقديم ومراجعة، أحمد فخري، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد، ط١، ١٩٥٦، ص١٧١.
١٢- انظر موسوعة Mara boat للأديان، مادة Trinite
١٣- نفس الصفحة.
١٤- أوروسيوس، تاريخ العالم، ترجمة وتقديم، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٢، ص ٤٥٧
15- Alfodi, Andrew: the conversion of Constantine and pagan Rome, translated by Harold Mattingly, oxford, clarendon press, 1948, p7
16- Armstrong, Gregory: Constantine's Churches. Symbol and Structure, the journal of Bible and Religion, 1964.P32
١٧- روجيه غارورديه، الإسلام، ت: وجيه أسعد، ط٢، بيروت، ١٩٩٧، ص٣٣
١٨- آريوس (بالعامية اليونانية: Ἄρειος؛ ح. ٢٥٦–٣٣٦م) قسيس وزاهد وكاهن في الإسكندرية بمصر من أصل بربري، اشتهر آريوس بتبنّيه لمجموعة من التعاليم التي تدور حول الطبيعة اللاهوتية في المسيحية، التي أكّد فيها على تفرّد الآب، وتبعية المسيح للآب، ومعارضته لما أصبح سائدًا حول طبيعة يسوع، فأصبح الموضوع الرئيس الذي تمت مناقشته في مجمع نيقية الأول الذي عقده الإمبراطور قسطنطين العظيم سنة ٣٢٥م.
١٩- انظر: الدم المقدَّس الكأس المقدسة، مرجع سابق، ص ٣٤٥
٢٠- لويس غرديه و ج. قنواتي، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحيَّة، الجزء الثاني، ت: الشيخ الدكتور صبحي الصالح، والأب الدكتور فريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٦٧، ط٢، ١٩٧٩، ص٢٨٧
٢١- انظر: محمد عطاء الرحيم، عيسى يبشر بالإسلام، ت: فهمي م. شنّا، دمشق، ط١، ١٩٩٠، ص١٢٨
٢٢- البابا الكسندروس الأول بابا الإسكندرية بطريرك الكنيسة القبطية الأرثوذكسية التاسع عشر (٣٢٦-٣١٣)، قديس في الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية والكنيسة الأرثوذكسية المشرقية والكنيسة الكاثوليكية، وُلد بالإسكندرية، وسيم بها قسًا، ثم سيم بابا للإسكندرية كما تنبأ البابا بطرس خاتم الشهداء، في تقواه دعاه الشعب بالقديس، وفي حبه للفقراء

والمساكين كانوا يلقبونه "أب المساكين".

٢٣- فيليب هامون: سيميولوجية الشخصيَّات الروائيَّة، ت: سعيد بنجراد، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٣، ص٤

٢٤- ولد نسطور عام ٣٨١ م بمدينة مرعش في سوريا وتربى في إنطاكية وهناك ترهّب بدير أيروبيوس، وتتلمذ على يد المفسر الكبير ثيودوروس المصيصي، اختير بعدما تم تعليمه ودراسته للكتب ليكون شماسًا، ثم قسًا في كاتدرائية إنطاكية، واشتهر بفصاحته وقوة عظاته.

٢٥- لويس غرديه و ج. قنواتي، مرجع سابق، ص ٢٨٣

٢٦- ثيودوروس المصيصي (٣٥٠- ٤٢٨)، هو أحد دعاة الأقنومين في المسيح، بمعنى أن أقنوم اللاهوت منفصل عن أقنوم الناسوت، وقال إن مريم ليست أم الإله إلا بالمعنى الإضافي أو المجازي، وأن المسيح ليس ابن الله حقًّا.

٢٧- كيرلس الأول (٣٧٦ - ٢٧ يونيو ٤٤٤ م) البابا السكندري والبطريرك الرابع والعشرون والملقب "عمود الدين ومصباح الكنيسة الأرثوذكسية"، تولى الرد على مذهب النساطرة بصيغة شابها اللبس، أدَّت إلى نشوء مذهب أفتيخيس واليعاقبة من بعده، وهو مذهب أصحاب الطبيعة الواحدة.

28- Saint Cyril of Alexandria and the Council of Ephesus, fr. Moses Samaan, Coptic Orthodox Church of Alexandria, 2009, 9 on April

٢٩- لويس غرديه و ج. قنواتي، مرجع سابق، ص ٣٠٢

٣٠- المرجع نفسه، ص ٣٦٩

٣١- كولن ولسون: فكرة الزمن عبر التاريخ، ت: فؤاد كامل، عالم المعرفة، الكويت، ط١، ١٩٩٢، ص٧

٣٢- كلمة هرطقة هي كلمة يونانية "αίρεσις - Hairesis" من الفعل"haireomai- αἱρέομαι" ، ويعني "يختار choose" –، ومعناها اختيار، وقد استخدمت للتعبير عن المدارس الفكرية الهيلينية، اليونانية، كما استخدمت في العهد الجديد بمعنى "شيعة، مذهب، بدعة" وذلك للتعبير عن الجماعات اليهودية مثل "شيعة (αίρεσις) الصدوقيين" (أع٥:١٧) و"مذهب (αίρέσεως) الفريسيين" (أع١٥:٥؛ أع٢٦:٥).

٣٣- جورج مينوا: الكنيسة والعلم، تاريخ الصراع بين العقل الديني والعقل العلمي، ت: موريس جلال، دار الأهالي، دمشق، ط١، ٢٠٠٥، ص١١٥

٣٤- إنجيل متى: (٢تي٢: ٣)

٣٥- يوسف زيدان: اللاهوت العربي، وأصول العنف الديني، دار الشروق، مصر، ط٢، ٢٠٠٩، ص٣٨.

٣٦- هيباتيا السكندرية: (٣٧٠-٣٥٠ تقريبًا - ٤١٥) (باليونانية: Υπατία)، هي فيلسوفة تخصصت في الفلسفة الأفلاطونية المحدثة، وتعدّ أول امرأة في التاريخ يلمع اسمها كعالمة رياضيات، كما لمعت في تدريس الفلسفة وعلم الفلك.

٣٧- انظر: قاموس أديان ومعتقدات العالم، ص٩٢، مرجع سابق

٣٨- يوحنا ذهبي الفم أو يوحنا فم الذهب (باليونانية: Ἰωάννης ὁ Χρυσόστομος) يوانوس خريسوستوموس، (٣٤٧–٤٠٧ م)، كان بطريرك القسطنطينية واشتهر كقديس ولاهوتي، عُرف باليونانية بـ «ذهبي الفم» لفصاحته، إذ كان تلميذ معلم البلاغة الشهير ليبانيوس. ويُعتبر يوحنا ذهبي الفم أنطاكي الأصل قديسًا لدى جميع الطوائف المسيحية.

39- Durkett, Delbert: An introduction to the new testament and the origins of Christianity, press: ISBN, P182

40- Michael Baigent, Richard Leigh, and Henry Lincoln: the holy blood and the holy Grail, London, 1982, p289

41- Matthew: 21-28, 3. Minneapolis, fortess, press. ISBN, 2005

٤٢- الكتاب المقدَّس، العهد الجديد، المطبعة الكاثوليكيَّة، بيروت، ١٩٦٩

43- Perkins, Pheme: introduction to the synoptic Gospels. Wm B. Eerdmans, ISBN.P16
44- Michael Baigent, Richard Leigh, and Henry Lincoln, previous reference, p 289
45- Buck water, Douglas: the character and purpose of Luke's Christology.cambridg university press 1996. ISBN.p 196
46- Burge, Gary M:"Gospel of John". In Evans, Craig A. The Routledge Encyclopedia of the Historical Jesus. Routledge. ISBN 2014

٤٧- انظر: نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحيَّة، منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الأوائل، دمشق، بدون تاريخ، ص ١٥

٤٨- المرجع نفسه، ص٢٠

٤٩- إنجيل متى ١٢ (٣١- ٣٢)

٥٠- نهاد خياطة: مرجع سابق، ص٤٧

٥١- إبراهيم سالم الطرزي: إبيجرافا وأبوكريفا العهد القديم، تجميع لكتابات الأبيجرافا وأبوكريفا العهد القديم، مطبعة متروبول، ط١، ٢٠٠٦ص٢٦

٥٢- نهاد خياطة، مرجع سابق، ص٤٧

٥٣- "التاسوعات" هي مجموعة من النصوص المنسوبة إلى أفلوطين، جمعها تلميذه فرفوريوس الصوري، وهي تتألف من أربع وخمسين مقالة متفاوتة في طولها تفاوتًا كبيرًا، وموزعة على ست مجموعات، كل مجموعة منها مؤلفة من تسعة أقسام.

٥٤- لويس غارديه و ج. قنواتي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحيَّة، الجزء الأول، ت: صبحي الصالح، وفريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٦٧، ص ٢١٩

55- Look: the complexity of Gnosticism, larry w. Hurtado, B. Eerdmans publishing, 2005, p 519

٥٦- الأسقف لوسيان الأنطاكي، أستاذ آريوس، وآريوس وأتباعه، والغنوصيون، أنكروا التثليث، والتجسُّد، وتأليه المسيح.

57- Morton Smith: History of the term Gnostikos, Greenwood Press, 1973, p 185
58- Hans Jonas: The Gnostic Religion, Beacon Press,1st ed. 1958, p.42

٥٩- ١ حجَّاج علي أبو جبر، التراث الغنوصي وتفكيك رمزيَّة الشر، رواية عزازيل نموذجًا، مجلة فصول، العددان:٨٩ و٩٠، ربيع – صيف ٢٠١٤، ص ٢٥٧

٦٠- ١ عبد الرحمن بدوي: الإنسانية والوجوديَّة في الفكر العربي، نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٤٧، ص١٤

أولا: المصادِر:

يوسف زيدان: عزازيل، ط١، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٨.

الكتاب المقدَّس، العهد الجديد، بيروت، المطبعة الكاثوليكيَّة،١٩٦٩.

ثانيًا: المراجع العربية:

إبراهيم سالم الطرزي: إبيجرافا وأبوكريفا العهد القديم، ط١، تجميع لكتابات الأبيجرافا وأبوكريفا العهد القديم، مطبعة متروبول، ٢٠٠٦.

أديب نصر الدين، الينابيع في المسيحيَّة والإسلام، دار النضال، بيروت، ١٩٩٤.

أوروسيوس، تاريخ العالم، ط١، ترجمة وتقديم، عبد الرحمن بدوي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢.

بوشعيب الساروي: التاريخ والتخييل، المماثلة والاختلاف، مجلة فصول، العددان: ٨٩،٩٠، ٢٠١٤.

جورج مينوا: الكنيسة والعلم، تاريخ الصراع بين العقل الديني والعقل العلمي، ط١، ت: موريس جلال، دمشق، دار الأهالي، ٢٠٠٥.

حجَّاج علي أبو جبر، التراث الغنوصي وتفكيك رمزيَّة الشر، رواية عزازيل نموذجًا، مجلة فصول، العددان:٨٩ و٩٠، ربيع – صيف ٢٠١٤.

روجيه غارورديه، الإسلام، ط٢ ت: وجيه أسعد، بيروت، ١٩٩٧.

سعيد يقطين: قال الراوي البنيات الحكائيّة في السيرة الشعبية، ط١، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي،١٩٩٧.

صمويل كريمر، من ألواح سومر، ت: طه باقر، ط١، تقديم ومراجعة، أحمد فخري، بغداد، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٥٦.

عبد الرحمن بدوي: الإنسانية والوجوديَّة في الفكر العربي، ط١، القاهرة، نهضة مصر، ١٩٤٧.

عبد الرحيم الكردي: البنية السردية للقصَّة القصيرة، ط٣، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥.

ـــــــــــــ، السرد في الرواية المعاصرة، الرجل الذي فقد ظله نموذجًا، ط١، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٦.

فيليب هامون: سيميولوجية الشخصيَّات الروائيَّة، ط١، ت: سعيد بنجراد، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، دار الحوار للنشر والتوزيع، ٢٠١٣.

كولن ولسون: فكرة الزمن عبر التاريخ، ط١، ت: فؤاد كامل، الكويت عالم المعرفة، ١٩٩٢.

لويس غارديه و ج. قنواتي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحيَّة، الجزء الأول، ط١، ت: ١٥) صبحي الصالح، وفريد جبر، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٧.

ـــــــــــــ، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحيَّة، الجزء الثاني، ط١، ط٢، ت: الشيخ الدكتور صبحي الصالح، والأب الدكتور فريد جبر، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٧، ١٩٧٠.

ليندا هتشيون، رواية الرواية التأريخية، تسلية الماضي، مجلة فصول: دراسة الرواية، المجلد١٢، ع٢، ١٩٩٣.

محمد عطاء الرحيم، عيسى يبشر بالإسلام، ط١، ت: فهمي م. شنّا، دمشق، ١٩٩٠.

نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحيَّة، منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دمشق، دار الأوائل، بدون تاريخ.

محمد مصطفى علي: الرواية والتاريخ السحري للحاضر، مجلة فصول، العددان٨٩ و٩٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤.

ميشيل بجينت، هنري لنكولن، ريتشارد لي، الدم المقدَّس الكأس المقدسة، ط١ ت: محمد الواكد، دمشق، دار الأوائل، ٢٠٠٦.

موسوعة Mara boat للأديان، مادة Trinite

نور الدين الزاهي: المقدس والمجتمع، ط١، المغرب، أفريقيا الشرق، ٢٠١١.

يوسف زيدان: اللاهوت العربي، وأصول العنف الديني، ط٢، مصر، دار الشروق، ٢٠٠٩.

المراجع الأجنبية:

Alfodi, Andrew: the conversion of Constantine and pagan Rome, translated by Harold Mattingly, oxford, clarendon press, 1948.

Armstrong, Gregory: Constantine's Churches. Symbol and Structure, the journal of Bible and Religion, 1964 .

Buck water, Douglas: the character and purpose of Luke's Christology.cambridg university press 1996. ISBN .

Burge, Gary M:"Gospel of John". In Evans, Craig A. The Routledge Encyclopedia of the Historical Jesus. Routledge. ISBN 2014

Durkett, Delbert: An introduction to the new testament and the origins of Christianity, press: ISBN .

Hans Jonas: The Gnostic Religion, Beacon Press,1st ed. 1958 .

Matthew: 21-28, 3. Minneapolis, fortess, press. ISBN, 2005

Michael Baigent, Richard Leigh, and Henry Lincoln: the holy blood and the holy Grail, London, 1982.

_____, previous reference.

Morton Smith: History of the term Gnostikos, Greenwood Press, 1973.

Perkins, Pheme: introduction to the synoptic Gospels. Wm B. Eerdmans, ISBN .

Saint Cyril of Alexandria and the Council of Ephesus, fr. Moses Samaan, Coptic Orthodox Church of Alexandria, 2009, 9 on April

W. Hurtado, B. Eerdmans the complexity of Gnosticism, larry publishing, 2005.